المعــرب في كتــاب سيبويــه

علي الشابي

انشغـل العلمـاء منـذ القديـم بالبحث في الكلمات الاجنبية التـي دخلت العربية كنتيجة للاتصال الحضاري الذي حدث بين العرب وأجوارهم وبخاصة الفرس . فقد وقع الاتصال بين العرب والفرس قبل الاسلام عن طريق الحيرة وبلاد اليمن . فتمكن كل من الطرفين من معرفة الآخر ومن الاحتكاك بلغته وافكاره . وكانت حضارة فارس في أوج تألّقها . ففتنت مباهجها عـرب الحيرة واليمن . وشاعت الكلمـات الحضارية الفارسية في اللغة العربية. وما لبثت أن تأصلت فيها واصبحت جزءا منها فتجلّتْ في الشعر الجاهلي . خاصة على أيدى الشعراء الذين كانوا يفدون إلى بلاط الحـيرة أو ينتسبون إلى ارض

(*) اطلعت بعد كتابة هذا البحث على مقال قصير للدكتور عبد الوهاب عزام عنوانه (الفارسية في كتاب سيبويه) منشور **بمجلة مجمع اللغة العربية** ، القاهرة. 1961 ج 13 ، ص 43 — 47 فسر فيه بإيجاز بعضا من أقوال سيبويه الواردة في الابواب الاربعة الخاصة بالمعرب من غير ربط للقضايا التي تطرحها هذه الابواب ولا ابراز للحقائق التي تقوم عليها قضية المعرب في الكتاب . ولم يوضح الكثير مما استغلق من أسلوب سيبويه وقد قال في آخر بحثه (ولعل بحثا شاملا في هذا الموضوع ييسر عما قريب) ص 47 وجدير بالملاحظة أن هـذا البحث ألقيتـه بشيراز (إيران) في مؤتمر سيبويه الذي انعقد من 27 أفريل إلى 2 مـاي 1974 بمناسبة مـرور اثني عشر قرنا على وفـاة سيبويـه .

اللخميين من أمثال الاعشى والنابغة الذبياني وعديّ بن زيد العبادى ، وكان هذا الأخير كما يقول ابن خلدون (التاريخ 52/2) من تراجمة الملك الفارسي كسرى برويز . وقد احتوى القرآن الكريم على ألفاظ فارسية كثيرة (1) عرفها العرب في الجاهلية واستخدموها في لغتهم ، وازداد الاتصال عمقا بين الامتين في ظل الفتح الاسلامي وتأكد التأثير اللغوي ، فعُدَّ التبادلُ ظاهرةً لُغوية سلكت اللغتين جميعا ، لذلك بدأت عناية المسلمين بالمعرَّب منذ القرن الثاني في نطاق حركة التّدوين والتّقعيد.

والمُعْرَبُ (من أعرب) حسب سيبويه أو (المعرَّب) من (عرَّب) يطلق في اللغة على الاسماء الاجنبية التي دخلت العربية واخضعها العرب لمنهاجهم ، جاء في اللّسان في مادة (عرب) (تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها تقول عَرَّبَتْهُ العربُ وأعْرَبَتْهُ أيضا) ، ويراد منه اصطلاحا في عصر تالٍ لعصر سيبويه الكلمات الأعجمية التي جرت على ألسنة عرب الأمصار حتى نهاية القرن الثاني وعلى ألْسِنَةِ بَدْوِ الجزيرة حتى أواسط القرن الرابع ، حيث كانت اللغة العربيةُ مبرَّأةً من اللَّحْنِ وبعيدة عن الخطإ وخالصةً من كلّ الشوائب ، فاكتسبت الكلماتُ الأجنبيةُ بذلك فصاحة العربية نفسها وانطبعت بطابعها ، لذا يصحُ الاحتجاجُ بها ، أما الكلمات الاجنبية التي تُنْسَبُ إلى ما بعد هذه الفترة فقد سَمّوها بالمولَّدة ، ولا يصح الاحتجاج بها في أصل من أصول اللغة ، لأنَّ عربية أهل البادية أنفسهم أصبحت في المنتصف الثاني للقرن الرابع غير معتمدة لاضطراب الألسنةِ وتقلُّص عادة الفصاحة . يقول ابن جنّي (وكذلك أيضا لوفشا في أهل الوَبَرِ ما شاع في لغة أهل المَدَرِ من اضطراب الألسنةِ وخَبَالِها وانتِقَاصِ عَادة الفَصاحةِ وانتشارِها لوجب رفضُ لُغَتِها

(1) راجع مثلا، السيوطي : **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** ، تحقيق عبد الله الجبورى، نشر بمجلة « المورد » ، العددان الاول والثاني ، بغداد ، 1971 ، ص 101 – 124 .
السيوطي : **المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشة والفارسية والهندية** ...دمشق 1348.

وترك تَلَقِّي ما يَرِدُ عنها وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا [المنتصف الثاني للقرن الرابع] لأنّا لا نكاد نرى بدويا فصيحا . وان نحن آنسنا منه فصاحةً في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال وَيَغَضُّ منه) (2) . هذا التحديد المتعسف ظهر في القرن الرابع الهجري ويتضمّن نظرة توقيفية أشاعها ابن جني وابن فارس ونظراؤهما في البحث اللغوي . وهي نظرة لامفرّ من اطرّاحها إذ ينجرُّ عن اعتمادها تَوَقُّفُ الفِكْرِ وتجمُّدُ الحضارة . وعلينا أنْ نَعْتَمِدَ في مقابِلِ ذلك مذْهَبَ سيبويه الذي سبق تصنيف الدّخيل . فإنّ اللغة العربية ليست باللغة التي كُتب عليها الجمود . وليست باللغة التي كتب عليها ان تُقْصَرَ على أهل البادية ومن يشبههم من أهل المُدُنِ أو القرى العربية القديمة (3) . ومن الحق أن أقول إن هذا التوقيف قد سيطر على اللغة العربية في مرحلة التصنيف والتقعيد . وشبيه بهذا ما وقع للفارسية الاسلامية نفسها فقد أشار ابن جني في مفاضلته بين اللغتين العربية والفارسية إلى أن اللغة الفارسية في عصر الاحياء أي في القرن الرابع الهجري قد التزمت هذا التوقيف فلم تتسع الا للرصيد الدّرّيّ الموروث . جاء في الخصائص (الا ترى أنهم [العجم] إذا أورد الشاعر منهم شعرا فيه ألفاظ من العربي عيب به وطُعِنَ لأجْلِ ذلك عليه) (4) .

إنّ بحث سيبويه للمعرب يعتبر أول بحث تناول هذه الظاهرة من الزاوية اللغوية الصرف . وهو بذلك قد مهد السبيل لعلماء النحو والصرف وأصحاب المعاجم الذين كتبوا في هذا الباب . صحيح ان الخليل تناول المعرب ، الا ان تناوله لم يكن مركّزا ووافيا . لهذا لفت بحث سيبويه انظار اللغويين فَقَفَّوْا على أثَرِهِ . فمثلا كتب أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى في القرن الثالث كتابه « الغريب المصنف » فافرد للمعرب فصلا بعنوان (ما دخل من غير لغات

(2) **الخصائص** ، مصر 1913 ، ج 1 ، ص 405 .

(3) طه حسين : مشكلة الاعراب ، من **مجلة مجمع اللغة العربية** ، الجزء الحادي عشر ، القاهرة 1959 ، ص 91 .

(4) 252/1

العرب في العربية) وفي جمهرة ابن دريد (القرن الرابع) (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة) وفي المخصص نقل ابن سيده (القرن الخامس) في الجزئين الرابع عشر والسادس عشر (ط. بولاق) ما كتبه سيبويه حرفيا بالعنوانين اللذين نطالعهما في الكتاب (باب ما أعرب من الاسماء الاعجمية) و(باب اطراد الابدال في الفارسية) كما كان تأثير الكتاب واضحا فيما كتبه اغلب النحويين وعلماء الصرف من أمثال المبرد (ت285/898) في كتابه «المُقتضب» 1973 ، وأبي بكر محمد بن السرّاج (ت316/928) في كتابه « الموجز في النّحو » وابن جنّي (ت392/1001) في «الخصائص» ، وابن يعيش (643/1245) في «شرح المفصل» ، وابن مالك (ت672/1273) في ألفيته ، وابن عقيل (ت769/1367) في شرحه على الألفية ، وأبي حيان النحوي (القرن السابع — الثامن) في كتابه (ارتشاف الضرب) — **بسكون الراء وفتحها** — . ففي تناولهم المعرب في أبواب الاعراب والتكسير والابدال نقلوا كلام سيبويه دون تغيير أو إضافة . ويشير ظهوراول معجم أفرِدَ لموضوع المعرب في القرن السادس وهو « المعرّب » للجواليقي إلى مرحلة جديدة ترمز إلى عناية اللغويين بهذا الموضوع من خلال توافر المادة المدروسة وتعدد الجهود المبذولة وما أصابها من تطور طيلة قرون أربعة تقريبا .

درس سيبويه المُعَرَّب دراسة نحوية وصرفية أي من حيث بِنيتُه وزنًا وتكسيرًا وابدالَ حروف ، ومن حيثُ إعرابه صرفا ومنعا ، واستخلص قواعده من خلال كلمات أغلبُها فارسيّ اتخذها أنموذجًا لِمَا يُشَاكِلُها في اللّغة ، وقد قال (فهذه حالُ الاعجمية فَعَلَى هذا فَوَجِّهْهَا) (5) وهذا المبدأ هو الذي اعتمده النُّحاة الذين جاؤوا من بعده وعبّر عنه المازني (ت247/861) بالاعتماد على سيبويه بقوله (ما قِيسَ على كلام العربِ فهو من كلامهم) (6).

---

(5) **الكتاب** 414/2 . يحدد ابن يعيش الأعجمية بقوله (واعلم أن قولهم العجمة ليس المراد منه لغة فارس لا غير ، بل ما كان خارجا عن كلام العرب من روم ويونان وغيرهم) ، **شرح المفصل** ، مصر ج 1 ، ص 66 وقارن السيوطي : **همع الهوامع** ، مصر 1327 ، ج 1 ص 32.

(6) راجع ، ابن حني : **المنصف في شرح تصريف المازني** تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مصر ، 1954 ، ج 1 ص 180 ، وقارن ، ابن جني : **الخصائص** ، 362/1 .

وهذه هي الكلمات الواردة في الأبواب المعنيّة نُثْبِتُها مع تحديدنا لأصلها وشرحنا لها :

- **لجام** : أصلها في الفارسية (لِكَام)
- **يرندج** : أصلها في الفارسية (رنده) : جلد أسود
- **نيروز** : أصلها في الفارسية . (نوروز) (نو : الجديد) (روز : اليوم) : اليوم الجديد . وتطلق على عيد فارسي قديم هو عيد الاعتدال الربيعي ، وموعده 21 مارس الموافق لاول شهر فروردين أول شهور السنة الايرانية . وما يزال الايرانيون يحتفلون به .
- **فِرِند** : أصلها في الفارسية (برند) : السيف وجوهره ووشيه .
- **زنجبيل** : نبت معروف . اصلها في الهندية (شنكبيل) .
- **الياسمين** : اصلها في الفارسية (ياسمين ، يا سمن ، ياسم) .
- **سُهْرِيزْ** : فارسية ومعناها : نوعٌ من التمر .
- **آجر** : أصلها في الفارسية (آ كَر) الاجرّ .
- **فيروز** : ماخوذة من الفارسية (بيروز) وأصل معناها (مظفّر) وتطلق على نوع من الحجارة الكريمة .
- **هرمز** : علم .
- **اسماعيل** : علم .
- **إسحاق** : علم .
- **يعقوب** : علم .
- **مَوْرج** : اصلها في الفارسية (مُوزه) : الحذاء الصغير ، الخف .
- **صولج** : أصلها في الفارسية (جوكان) : العود المعقوف .
- **كُرُبَحْ** : اصلها في الفارسية (كُرْبِهْ) : الحانوت . وتطلق في لهجة أهل الجريد بالجنوب التونسي على النفايات الموضوعة في مكان واحد .

- **طليسان** : أصلها في الفارسية (تالسان) : كساء يرتديه كبارُ العلماء والمشائخ .
- **جورب** : اصلها في الفارسية (كُورَبْ) : غطاء الرّجْلِ المعروف .
- **كَيلج** : اصلها في الفارسية (كيله) : كيل مَحَدَّدٌ مَعْروف ، والفارسية بدورها مأخوذة من الأرامية .
- **درهم** : مأخوذة من اليونانية .
- **دينار** : ماخوذة من اللاتينية .
- **رُستاقْ** : أصلها في الفارسية (رُوسْتَا) : القرية الزراعية .
- **ابريسم** : اصلها في الفارسية (ابريشم) : الحرير .
- **سراويل** : مَأخُوذَةٌ من الفارسية (شَرْوَالْ) وأصلها (سَرْبَالْ) مركَّبَ من (سَرْ : فوق) و(بال : القامه) .
- **قهرمان** : فارسية ومعناها : الآمر .
- **خراسان** : افغانستان والمنطقة الشمالية الشرقية لإيران .
- **خرَّمْ** : فارسية ومعناها : سعيد .
- **كُركُم** : فارسية ومعناها : الزّعفران ، وتطلق في اللهجة التونسية الحالية على نبتة تقوم مقام الزعفران وهي بالفارسية حاليا (زَرْدْجُوبِهْ) .
- **بقّم** : أصلها في الفارسية (بكم) : شجر كبير ورقه كورق اللوز ، وساقه أحمر ، يُصْطَبَغُ بِطبيخِهِ .
- **جربز** : اصلها في الفارسية (كَربز) : مَكَّارٌ ، مُخَادِعٌ .
- **كُوسه** : فارسية معناها : الأمردُ ، القليلُ شعرُ العارضَيْن .
- **فُندُقَ** : أصلها في الفارسية (بُنْدُق) : وهو المعروف في تونس بالبندق .
- **زور** : فارسية معناها : القوة ، الغلبة .

- **آشوب** : فارسية ، مادة أصلية من المصدر (آشفتن) : الاضطراب ، الاختلاط .
- **شُبَارق** : أصلها في الفارسية (بيشباره) : كعك يصنع من الدقيق والعسل والزيت ، وتطلق أيضا على ألوان اللّحم في الطّبائخ .
- **زَبَاني** : أصلها في الفارسية (زَبَانِي) : الجهنميّ ، من (زبان) : شعلة النار .
- **ديباج** : أصلها في الفارسية (ديبا) : نسيج حريري .
- **بهرج** : أصلها في الفارسية (بَهْرِه) : نصيب ، ويراد منها المباح .

نجد في هذه الكلمات الثماني والثلاثين ثلاثين كلمةً فارسيةً ، وأربع كلمات غير فارسية ، وأربعةَ أعلام ، مما يدل على ان عناية سيبويه كانت منصرفة إلى الجانب الفارسي من المعرّب ، وهو أمر تبرره نسبته وثقافته الفارسيتان . وشيوعُ الفارسية أكثرَ من غيرها في اللغة العربية . وما تناوله في بحثه يمكن حصره في قضيّتَيْن .

1 – قضيّةُ الإعراب ، وهي قضيّة نحوية .

2 – قضيّةُ التكسير والإلحاق بالأبنية العربية وإبدالِ الحروف ، وتندرج في مباحث علم الصرف .

تناول سيبويه القضية الاولى تحت عنوان (هذا باب الاسماء الاعجمية) (7) . ويمكن حصر كلامه في هذا الباب في ثلاثِ مسائلَ .

المسألة الاولى :

اذا تمكنت الاسماء المعربة بدخولِ (أل) عليها وبصحّة تنكيرها ، وصُيِّرَتْ أعلامًا وجب صرفها ، الا ان يمنعها من الصرف ما يمنع الاسماء

(7) 22/2

العربية ، وذلك نحو اللّجام والديباج واليرندج والنيروز والزنجبيل والياسمين ، وقد اعتمد اللاحقون — عدا الشَّلُوبين وابنَ عصفور — سيبويه ، فحاكوه في تقرير هذه القاعدة وفي ايراد أمثلة استمدوها مما اورده في الابواب المتعلقة بالمعرب ، من ذلك ما قاله المبرد (والمعرب منها [الاعجمية] ما كان نكرة في بابه لانك تعرفه بالالف واللام ، فاذا كان كذلك كان حكمه حكم العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنعها فمن ذلك راقود ، وجاموس ، وفرند ، لأنك تعرفه بالالف واللام) (8) وما قاله ابن جني (الا تراهم يصرفون في العلم نحو آجر وإبريسم ، وفرند ، وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والسهريز والآجر أشبه أصول كلام العرب أعني النكرات ، فجرى في الصرف ومنعه مجراها) (9) وتفرّد الشَّلُوبين وابنُ عُصفور بقولهما : إن الاسماء التي ليست أعلاما في لغاتها الاصلية واستخدمت اعلاما في العربية من أول الامر كبندار [وتعني في الفارسية : التاجر الذي يخزن البضائع أو يبيع المعادن] تُنَزَّلُ منزلة الاعلام المعربة الباقية على علميتها في العربية فتمنع من الصرف . أما بقيّة النحويين فقد نَزَّلوها — تأسِّيًا منهم بسيبويه — منزلة الاسماء المعربة المتمكنة التي صُيِّرَتْ أعلامًا فصرفوها مراعين في ذلك استعمالها الحقيقي في لغاتها الاصلية (10) .

المسألة الثانية :

إذا انتفى الشبه بين بِنْيَةِ الاسم المعرب المتمكن والأبنية العربية فإن الاسم المعرب لا يُمنَعُ من الصرف ، ومَثَّلَ لذلك بالآجُرّ ، وقرر بأنه

(8) **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ، القاهره ، 1386 ، ج 3 ص 325 .

(9) **الخصائص** ، مصر ، 1912 ، 1/362 — 363 ، وقارن ما قاله ابن يعيش (643ت) في ، **شرح المفصل** ، مصر ، (دون تاريخ) 1/66 .

(10) راجع مثلا، محمد الخضري : **حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** القاهرة 1953 ، ج 2 ص 113 ، خالد الازهري : **شرح التصريح على التوضيح** ، مصر 1371 ، ج2 ص 219 .

لا يُشْبِهُ شيئا من كلام العرب . ورأى أن يُنَزِّلَهُ منزلة الكلمة العربية التي لا نظير لها . نحو (إبل) . فحكم بصرفه إن لم يمنعه من الصرف ما يمنع العربيَّ (11) .

المسألة الثالثة :

إذا لم تتمكن الاسماء المعربة وبقيت أعلاما كما كانت في الأعجمية مُنعت من الصرف كابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وهرمز وفيروز وقارون وفرعون وأشباهها . بيد أن سيبويه لم يتناول الاعلام الثلاثية . وظاهرُ كلامه أنّ حُكْمَ المنع من الصَّرف مُطَّرِدٌ في الأعلام المعرَّبة . سواءٌ أكانت ثلاثية أم غير ثلاثية . ويتفق اللغويون مع سيبويه في منع غير الثلاثية منها من الصرف . أما الثلاثية فينقسمون بشأنها إلى قسمين :

أ) يرى السيرافي وأبو بكر محمد بن السرّاج وابن برهان وابن خروف أن الأعلام المعربة الثلاثيّة مصروفة لا فرق في ذلك بين الساكنة الوسط كنوح ولوط والمتحركة كشَتَرولَمَك .

ب) يقول عيسى بن عمر الثّقفي وابن قتيبة والجُرجاني والزمخشري بجواز الوجهين : الصرفِ وعدمِه في الساكنة الوسط . وبوجوب المنع في المتحركة الوسط .

ومن خلال القواعد المقررة تبدُو دقّة سيبويه إذ تَقَصَّى وضع الكلمات باعتبارها نماذج . وأثار ما يمكن أن يردَ عليها من اعتراضات وفنَّدَها . فالاسماء المُعَرَّبَةُ المتمكنَّةُ تُصْرَفُ الا اذا منعها ما يمنع الاسماء العربية من الصرف . وهو بهذا يدمجها في صلب العربية . ويُجْرِي عليها ما يجرى

(11) لم يضف النحويون إلى هذه القاعدة جديدا ، راجع مثلا ما قاله المبرد في ، **المقتضب** ج 3، ص 326 ، فلم يزد شيئا على ما قرره سيبويه عدا مثلين للبنية التي لا نظير لها في العربية هما (إطل) و (صعفوق) .

على الاسماء العربية ، كما أنه لم يعدم نظيرا لكلمة (آجُرّ) من حيث تفردُها بِبِنيَتِهَا ، وهذا يدلّ على ما اتّسمت به عقليته من دقّةٍ ونفاذ .

ونرى أن القضيّة الصرفية التي خص بها سيبويه المعرب تندرجُ في ثلاث مسائل :

1 — التكسير

2 — الالحاق بالأبنية العربية

3 — إبدال الحروف

تناول في (باب ما كان من الأعجمية على أربعة أحرفٍ وقد أُعرب فَكَسَّرْتَهُ على مثال مفاعلَ) (12) الاسماء الرباعيّة المعربة، وقرر بأنها تُكَسَّر على مثال (مفاعلَ) باعتبارها الصيغة الغالبةَ لمنتهى الجوع ، وقاس المعرب على الاسماء العربية في نطاق ما هو مسموع لأنّ جموع التكسير سماعيةٌ لا قياسيةٌ . وقصدُه من ذلك إبرازُ الطابع العربي الذي اكتسبته هذه الاسماء ، وفي بداية هذا الباب أشار بالاعتماد على الخليل إلى أن أغلب الاسماء المعربة المكسَّرَةِ تُلْحَقُ بها الهاء غالبا ، وأورد موزج (موازجة) صولج (صوالجة)، كربج (كرابجة) ، طيلسان (طيالسة) ، جورب (جواربة) ، كما قالوا (جوارب) دون هاء كصوامع في العربية ، ويصح في كيلج (كيالج) ككواكب ، و(كيالجة) ، ونظيرهُ في العربية : صياقلة وصيارفة وقشاعمة . وَبَيِّنٌ أن هذه الكلمات المعربة ملحقة بمفاعلَ في الحكم لا في الوزن أي أنها تمنع من الصرف الا اذا أُلْحِقَتْ بها التاء .

وفيما يتعلق بالمسألتين الأخريَيْن (الإلحاق والابدال) ينبغي أن نشير إلى أنّ القواعد المستخلصة في هذا الصدد هي كغيرها من القواعد النحوية والصرفية قواعدَ تقريبية، وأنها إلى ذلك مضطربة تتداخل فيها الأمثلة ولا تتضح من خلالها المجموعات

(12) الكتاب 237/2

بالقدر الذي تتيحه القواعد عادة . وحسبُ سيبويه أنه حاول القيام بهذا التصنيف حتى يسهّل للدارسين الوقوف على ما كان يجري على ألْسِنَةِ العرب حين كانت تسقط إلى لغتهم الألفاظ الاجنبية ، فينطقون بها كما شاءت سليقتهم ، وقد أشار الجواليقي إلى ذلك بقوله (واذا كان حُكِيَ لك في الاعجمية خلاف مَا العلامة عليه فلا تَرَيَنَّهُ تخليطا ، فان العرب تُخَلِّطُ فيه ، وتتكلّم به مُخَلَّطًا ، لانه ليس من كلامهم فلما اعتنفوه [أتَوْهُ ولم يكن لهم به علم] وتكلموا به خَلَّطُوا) (13) .

فصّل سيبويه القول في المعرب من حيث الالحاق والتغيير ، ووضَعَ لَهُ أحكاما تتفق مع الإلحاق أو عدمه ، ويتضح من كلامه أن الغالب هو الالحاق ، وعندئذ تأخذ الاسماء المعربةُ أحكام الأبْنيةِ العربية وهو الامر الذي يهتمّ به النحويون يقول : (اعلم أنهم مما يغيّرُونَ من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة . فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربّما لم يلحقوه ، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم : فدرْهَم ألحقوه ببناء هِجْرَع ، وبَهْرَجٌ ألحقوه بسَلْهَب ، ودينَار ألحقوه بدِيماس ، ودِيبَاجٌ ألحقوه كذلك . وقالوا إسْحاق فألحقوه بإعْصَار . ويَعْقُوب فالحقوه بيَرْبُوع ، وجَوْرَبٌ فألحقوه بفَوْعَلٍ ، وقالوا آجُورٌ فألحقوه بعَاقُول . وقالوا شُبَارِقٌ فألحقوه بعُذَافِر ، ورُسْتَاقٌ فالحقوه بقُرْطَاس لما أرادوا أن يُعْرِبُوه ألحقوه ببناء كلامهم .... وربما تركوا الاسم على حاله إذَا كَانت حروفُهُ من حُرُوفِهم . كان على بنائهم أو لم يكن . نحو خُراسان وخُرَّم والكُركُم) (14) .

والابنيةُ الواردةُ مع أمثلتها تجدُها منبثّةً في نصوص اللغويّينَ والنحاةِ الذينَ جاؤوا من بعده . دون أن يُضِيفُوا إليها جَدِيدًا بل انهم كانوا ينقلون أقواله بلفظها (15) .

---

(13) **المعرب** ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط ثانية ، دار الكتب ، 1969 ، ص 57 .
(14) **الكتاب** 2/412 – 413
(15) راجع مثلا ، **ارتشاف الضرب** ، مخطوط دار الكتب ، 1106 نحو ، ورقة 13 ؛ الجواليقي : **المعرب** ص 56 .

يتّضِحُ من هذا أن المعرب الملحق بالاسماء العربية يأخذ حكم الأبنية العربية من حيث الاصل والزيادة والوزن ، لا فرق في ذلك بَيْنَ أن يكُون هذا المعرب قد أصابه التغيير أولا ، فمن الاسماء التي الحقت دون تغيير وأخذت حكم الاسم العربي (دِرْهم) ألْحِقَ بِهِجْرع [احمق] (وبَهْرَج) بسَلْهَب [طويل] ... ومن الاسماء التي أصابها التغْيير ولم تُلْحَق (آجُر ، سفسير) ، ومن الاسماء التي لم يصبها التغيير (خراسان) و(كُركُم) ، خراسان لم تلحق ، وكُركُم ألحقت ،

وهنا تكمن أهمية مبحث سيبويه ، فهو يقرر حسب ما نَفْهَمُ من نَصّه ، ان العرب يجيزون التعريب باحدى طرق ثلاث :

1 — **طريقةُ الإلحاق بالأبنية العربية مع الإبدال أو بدونه .**

2 — **طريقة الإبدال من غير إلحاق .**

3 — **طريقة إبقاء الكلمة المعربة على حالها من غير تغيير أو إلحاق بالأبنية العربية وإقرار وزنها إلى جانب الأوزان العربية** كـ(فُعالان) لخُراسان، (إفْعِيلل) لإبريسَم و(فَاعُلّ) لآجُرّ ، لأنّ الأبنية العربية مدارُها وضعُ الكلمة من حيث الاشتقاقُ والزائد والاصليّ من حروفها ، وهو ما تفتقده الكلمات الاجنبية ، لكنّ العرب فضلوا غالبا الطريقة الاولى وهي الإلحاق بالأبنية العربية .

في حديثه عن الابدال يتجلى ميله لاستخلاص القواعد مهمَا تشعب الموضوع واختلطت مقاييسه ، فقد تناول ما يطّرِد فيه وما لا يطّرد .

فما يطّرد فيه الابدال ضبطه في القواعد التالية :

1 — ابدال الجيم باطراد من (كَ : g) : القاف المعقودة [الكاف الشديدة المجهورة ، وحسب ابن الجزري ، الكاف الصّمّاء] (لأنها — كما يقول سيبويه — ليست من حروفهم) (16) . ولذلك عدّها حرفا غير مستحسن

(16) الكتاب 413/2

في لغة من تُرتَضَى عربيّته — (الكتاب ، 588/2) مثل جُرْبُزْ من (كَرْبُزْ= Gorboz) وجَوْرَب من (كَورَبْ) (Gorab) ، وربما أبدلوها بقاف (لأنّها قريبة) حسب تعبير سيبويه (17) فقالوا (قُرْبُزْ) .

2 — ابدال الجيم من هاء السكت المتطرفة المُبْدلة في الفارسية الدّرّيّة من القاف المعقودة في البهلوية مثل (كَوسَج) من (كُوسِه) و(مَوْزَج) من (مُوزِه) . وعلّل هذا الإبدال تعليلا يدل على دقة معرفته بالنحو الفارسي ونصه : **(لأنّ هذه الحروف تُبدَلُ وتحذف في كلام الفرس همزة مرةً ، وياءً مرة أخرى ،فلمّا كان هذا الآخر لايُشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرفٍ ليس من حروفهم ، وأبْدَلُوا الجيمَ لأنّ الجيمَ قريبةٌ من الياءِ ، وهي من حروف البدَل ، والهاءَ قد تُشبه الياءَ ، ولأنّ الياء أيضا قد تقع آخرَةً ،فلمّا كان كذلكَ أبدلُوها منها كما أبدلوها من الكاف [الكاف الصَّمَّاء] وجعلوا الجيم أولى ، لأنها قد أبْدلتْ من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم [الحرف نفسه] فكانوا عليها أمْضى)** (18) .

وقد استخلص سيبويه هذه القاعدة من خلال لغة التخاطب الفارسية في القرن الثاني لأن الفارسية لم تصبح بعد الفتح لغة ثقافية الا في القرن الرابع . وتبعا لذلك ضبطت قواعدها في فترة تالية ، **لهذا يُعدُّ صاحب الكتاب في رأينا أقدمَ من عُنِيَ بنحو اللغة الفارسية الاسلامية ، فقد سبق إلى وضع أوّل قاعدة نحوية عرفها تاريخ النحو الفارسي .**

وبيّنٌ أنه لا يمكن فَهْمُ هذا النص إذا لم تكنْ لنا معرفة بالفارسية ونحوها (19) فهو يشير إلى أن هاء السكت المتطرفة تُنطق في الفارسية على

(17) **الكتاب** 413/2

(18) **الكتاب** 413/2

(19) من الملاحظ ان شهاب الدين احمد الخفاجي ردد في كتابه **(شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل)** المطبعة الوهبية ، 1282 ، ص 5—6 ، كلام سيبويه دون ادراك لمقاصده ، وكذلك فعل علي النجدي ناصف في كتابه **(سيبويه امام النجاة)** ، مصر ، 1953 ، ص 85 ، واكتفى بان استروح من ظاهر النص معرفة سيبويه المحدودة للغة الفارسية .

شكلين : تارة على شكل همزة وأخرى على شكل ياء ، وتقتضي القاعـدة النّحوية الفارسية وجوب النطق بالهاء على شكل همزة إذا كانت في كلمة نكـرة مثـل :

مُوزِه اى Muze-Yé = خــف

دانشكِدِه اى Danech-Kede-Yé = كلّيّة

شُمَارِه اى Şomare Yé = عــدد

أو في كلمة مضافة إذا تقدّم المضاف على المضاف إليه ،فإنّ الاضافة تتحقق بقلب كسرة الاضافة همزة مكسورةً تنطق بدل الهـاء نحو :

موزهءِ مَرْد = Muze-Yé Mard خُفُّ الرّجُلِ

تَرْجُمهءِ حَالِ فخرِرازي = Tarjome-Yé Hali Faxri-Razi = ترجمة الفخر الرازي

أو في آخـر موصوف متقدم عـلى صفتـه فإنّ العلاقـة الوصفية تتحقق بكسـر الموصوف ، ولما كان الموصوف منتهيا بهاء فـانّ الكسرة تُقْلَبُ همزة مكسورة نحو

خانِهء بزرك Xane-Yé Bozorg = البيت الكبير .

كما تقتضي القاعدة النحوية النّطـق بالهاء على شكـل الياء في غير حالات التنكير والوصف والاضافة مثل :

مُوزه = Muze = الخف

شُمَاره Şomâre = العـدد

ويعلّل سيبويه هذا الابدال تعليلا صوتيا أساسه التّشاكل بين الجيم والياء ، وبين الياء والهمزة ، واعتمادُ الجيم كحرف بدل للحرف الفارسيّ الذي لا يوجد في العربية ، وبناءً على أن الجيـم أبْدِلتْ مـن القاف المعقـودة فإنهـا تبدل أيضا من (هاء السكت) **(وجعلوا الجيـم أولى لانهـا قد أبْدلتْ من**

الحرف الاعجميّ الذي بين الكاف والجيم [الحرف نفسه] فكانوا عليها أمضى(20) وتبعًا لذلك تقوم القاف أحيانا مقام الجيم فتُبْدَل من هاء السكت . فقد نطق بعضهم بـ(كَوْسَق) بدل (كَوْسَج) (وَقُرْبَق) بدل (قُرْبَج) و(كُرْبَقٍ) قال الراجز

يا ابن رقيع هل لها من مَغْبَقِ ... مَا شربت بعد طَوِيّ القَرْبَقِ
مِنْ قَطْرَةٍ غَيْرَ النَّجَاءِ الأدْفَقِ

3 — ابدال الباء أو الفاء من (الباء المهموسة = P وقدعدّها سيبويه حرفا غير مستحسن 488/2 وسماها «الباء التي كالفاء») فقالوا في (بِرَنْدٍ) فرند وبرند ، لأن الباء والفاء متشاكلان وقريبان من (P) وهي جميعا حروف شفوية **(فالبدل مُطَّردٌ في كل حرف ليس من حروفهم ، يُبْدَلُ منه ما قرب منه من حروف الاعجمية)** (21) .

4 — تغيير الحركة في الكلمة المعربة قصد إخراجها عن نطقها الفارسي كما في (زَوْرْ) فقد أصبحت بعد تعريبها (زُورْ) بِضَمّ الزاى ، وكما في (آشوب) من المصدر (آشوفتن = آشفتن) فحين عُرِّبَتْ حُذِفَ مدُّها (أشوب) .

وأمّا ما لا يطّرد فيه البَدلُ : فيتمثّل في ثلاثة حروف :

1 — الشين ، وتُبْدَلُ في الاسم المعرب سينا لتشابههما في الهمس والانسلال من بين الثنايا ، ومثّلَ لذلك بسراويل ، وأصلها في الفارسية (شَرْوَالْ) ، ويمكن اضافة بعض الامثلة الاخرى الواردة في المعرب ، فقالوا في (دشت) : ومعناها ، الصحراء ، (دَسْتْ) ، وفي (بَنَفْشِه) (بنفسج) .

(20) الكتاب 413/2
(21) الكتاب 414/2

وفي (لَشْكَر) (عَسْكَر) ، وفي (نِيشَابور) (نِيسَابور) ، وفي (ابريشم) (ابريسَم) .

2 — الهمزة : وتُبدَل في الاسم المعرب عينا لتشابه الحرفين في النطق ، فالهمزة المنطوقة في الكلمة العبرية (اشماؤيل) أصبحت عينا على ألسنة العرب (اسماعيل) .

3 — الزاى : وتبدل لاما ، فقد قالوا (قَفْشَلِيل : ومعناها المغرفة) بدل (كَفْجَلاَز) .

والملاحظ أنّ سيبويه استخلص هذه القواعد من الواقع اللّغوي دون أن يستكمل كل الضوابط الممكنة في هذا الموضوع ، ولم يقف عند الإبدال فيما يلي :

1 — الدال المصاحبة للهاء الصامتة المتطرفة التي تبدل في الكلمة المعربة ذالاً نحو :

(سَادِه) ، معناها : بسيط (ساذَجٌ) .
(نُمُودِه) معناها : مِثَالٌ (نموذج) .
(بَالُودِه) معناها : نوع من الحلوى (فَالُوذَج) .

2 — الكَاف [القاف المعقودة = g] التي تقلب أحيانا (كافا) مثل (كَوش) ومعناها : الأذن (كوش) . و(كَنج) (كنز) وهنا قلبت الجيمُ زايا .

3 — السّين التي تقلب صادا مثل (سَرْد) معناها : البرد (صَرْد) .

وبالاضافة إلى ذلك لم يتناول سيبويه الكلمات المركّبة المعربة مثل سراب من (سير = مملوء) و(آب = الماء) أى ما يظنه الرائي كذلك وميزاب (ميز = مسيل) و (آب) الماء ، ولا الاشتقاق الذي أجرى على بعض الكلمات ، فقد كان العرب يُوَلّدون من بعض الاسماء أفعالا ، ويشتقون من هذه الافعال مثل (ألْجَم) من (لِجَام) و(مَهَرَ = خَتَمَ) من (مُهْر = الخاتم) و(دَوَّنَ) من (ديوان) وذلك كلّه شائع في اللّغة العربية منذ العصر الجاهلي .

كما أن سيبويه علّل ابدال القاف المعقودة أو الكاف الصماء بالجيم أو الكاف أو القاف لعدم وجود هذا الحرف في العربية . وهو أمر ينقضه واقع اللغة العربية . فإنّ وُجود الكاف الصّمّاء في كثير من اللهجات العربية المعاصرة يشير إلى حقيقة عرفتها اللغة العربية منذ القديم هو وجود الكاف الصّمّاء في اللغة الفصحى . وحسب ابن خلدون (وعندهم [الجيل العربي لعهد ابن خلدون] انه انما يتميز العربي الصريحُ من الدخيل في العروبية والحضَريّ بالنطق بهذه القاف [القاف المعقودة] ويظهر بذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في وَلَدِ منصورين عِكرِمة ابن حفصة بن قيس بن عيلان بن سُليم بن منصور . ومن بني عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور . وهم لهذا العهد أكثر الامم في المعمور . وأغلبهم من أعقاب مُضَرٍ . وسائرُ الجيل منهم في النطق بهذه القاف [القاف المعقودة] أسوة . وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارَثة فيهم . متعاقبة . ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الاولين . ولعلها لغة النبيء صلى الله عليه وسلم بعينها . وقد ادّعى ذلك فقهاءُ أهل البيت . وزعموا أن من قرأ في أمّ الكتاب « اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ » بغير القاف التي لهذا الجيل [القاف المعقودة] فقد لَحَنَ وأفسد صلاته) (22) .

ونلاحظ من الابدال الذي أصاب الكلمات المعرّبة أن العرب قد ألحت عليهم فكرة التغيير فأبدلوا من الحروف التي تفتقدها العربية ومن الحروف التي توجد في اللغتين . وفي هذه الحال تتضح الحساسية المفرطة التي واجه بها العرب الكلمات الدخيلة . وهو أمر يفسر لنا ابدالهم الشين سينا . والسين صادا ...

لقد ظل ما كتبه سيبويه عن المعرب بالرغم من اختصاره أساسا لكل الدراسات التي تناولت هذا المبحث منذ القرن الثالث الهجري حتى اليوم ،

(22) **مقدمة ابن خلدون** ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ط ثانية ، لجنة البيان العربي القاهرة ، 1968 ، 1393/4 – 1394 .

قَفَّى على أثره القدماء ، فنقلوا في الأغلَب ، كلامه عن المعرب بلفظه ، كما آثر طريقته المرنة في التعريب وحضّ عليها المجددون من المحدثين . لقد حرر سيبويه المعرب من التعصب والجمود ومن الاقيسة الضّيقة ، فأدمج في العربية ما تساقط إليها سواء اتفق مع أبنيتها أو لم يتفق ، ومذهبه هذا ينسجم مع حقيقة أساسية هي أن المحافظة على اللغة تكمن في سلامة هيكلها وبناء الجملة فيها وفي مراعاة العلائق القائمة بين أجزائها ، وأنه لا خطر على أية لغة من الاقتباس من لغة أخرى ، فان الاقتباس على احدى الطرق الثلاث عند الحاجة هو الذي يمكّنها من الثراء والحيوية الموصولة ، ومن إقامة الحوار المستمر مع الحضارات ، ومنذ القديم تفطن العرب إلى هذه الحقيقة ، ففي الخصائص لابن جنّي ما يشير إلى ذلك (**الاّ أنهم أشدُّ استنكاراً لزيغ الإعراب منه لخلاف اللغة ، لأن بعضهم قد يُنْطَقُ بحضرته بكثير من اللغات فلا يُنْكرها**) (23) فقد كان العرب يستنْكرون الخطأ في الإعراب أكثَر من استنكارهم إدخالَ الكلمات الاجنبية في العربية ، والمقصود بالكلمات الاجنبية الكلماتُ التي لا تفتقدها هذه اللغة ، ويُسْتَرْوَحُ من بقية ما أورده ابن جِنّي في موضعه أنّ هذا الاستنكار الأدنَى ينتفي إذا كانت العربية في حاجة إلى الكلمات الاجنبية (24) .

ان العربية تواجه حاليا تحديات العصر ، ومن الواجب إذا أردنا لها الحياة كما أراد لها سيبويه منذ ما يزيد على اثني عَشر قرنا أن نُحْكِمَ اللقاء بينها وبين اللغات ، خدمةً لثقافتنا ، وتطويرا لمجتمعنا ، وإسهاماً في بناء الحضارة الانسانية .

علي الشّابّي

(23) ج 1 ص 325 – 326

(24) راجع أمر أبي مهدية والفارسي في ، **الخصائص** ، ج 1 ص 326 .